الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة الدكتور مولاي طاهر

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

دور مدينة جاو في التبادل التجاري عبر الصحراء الكبرى ما بين (6_9هـ/12_15م)

إعـداد الطالبة:

عراب نورة

إشراف الأستاذ:

أ/د قدوري عبد الرحمن

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الجامعة	الصفة
أ.د بوحسون عبد القادر	جامعة سعيدة	رئيساً
أ.د قدوري عبد الرحمن	جامعة سعيدة	مشرفاً ومقرراً
أ.د كبداني فؤاد	جامعة سعيدة	مناقشاً

السنة الجامعية: 1446–1447هـ/ 2025–2026م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإعداد هذا العمل ونتقدم بخالص الشكر

إلى الأستاذ المشرف الدكتور "قدوري عبد الرحمن " الذي لم يبخل علينا بالنصح

والإرشاد والتوجيه طيلة إنجاز هذه المذكرة جزاه الله خيرا وله منا جزيل التقدير

كما نتقدم بخالص الشكر إلى لجنة المناقشة التي ستتحمل عناء مناقشة هذا العمل

وستؤخذ كل تصويباتهم القيّمة بعين الاعتبار في الاستحقاقات القادمة.

إهداء

إلى من قال فيهما عز وجل: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[الإسراء: 24]

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

- إلى الوالديين الكريمين أطال الله في عمرهما.
- إلى الإخوة والأخوات
- إلى عائلتي الصغيرة زوجي وأبنائي

قائمة المختصرات:

أ. باللغة العربية:

المختصرات	الاسم الكامل
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
ط	طبعة
ج	جزء
ص	صفحة
م، هـ	ميلادي، هجري

مقدمة

مقدمة:

وصل الإسلام في وقت مبكر إلى السودان الغربي، ومن المعروف أن العلاقات التي ربطت السودان الغربي بالشمال الإفريقي، كان لها الفضل في حدوث تراكم وتفاعل حضاري بين الطرفين، وقد انتظمت وتوطدت تلك الصلات بين الجانبين عبر قنوات متعددة كالتجارة والثقافة والعلم، أما الدين فقد شكل نقطة أساسية ضمن مختلف العلاقات بين الضفتين من خلال الأدوار المختلفة التي اضطلعت بها المؤسسات الاجتماعية والجماعات الدينية كالزوايا والمساجد والكتاتيب ودور العلم، وكانت التجارة بمثابة الآلية الحقيقية لتلك الروابط التي جمعت بين الطرفين وكانت الوجه الأكثر وضوحا من أوجه تلك العلاقات باعتبارها المنطلق الأول الذي نبعت منه وترتبت عنه الروابط الأخر السياسية منها والاقتصادية والحضارية وحتى العقائدية، فمدينة جاو التي تقع عند ملتقى طرق التجارة البرية والنهرية، باتت أهم مراكز التجارة عبر الصحراء، وما ميزها عن باقي محطات الأخرى طريق نهر النيجر، والذى يصل المدينة بالمحطات المهمة الأخرى البلاد، ومنها تنبكت وجنى، مما ساهم بتأثيرها في التجارة عبر الصحراء الكبرى.

ما ميز مدينة جاو أيضاً نوع السلع المتداولة سواء كانت المستوردة أو مصدرة وهذا ما أعطها أهمية كبيرة مقارنة بالمدن التجارية الكبرى، ومن أهم تلك السلع المتداولة: كالملح، الزجاج، الرقيق، النحاس، العاج والذهب.

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال توصيف مدينة جاو داخل مملكة سنغاي وتنامي التجارة جنوب الصحراء التي اقترنت بازدهار مدينة جاو التي أصبحت ملتقى التجار والقوافل التجارية، وإبراز أيضاً الدور الذي لعبه الإسلام في إدخال الشعوب البعيدة عن الحضارة في الإسلام وبالتالي ضمها لركب الحضارة العربية الإسلامية، مع إبراز أهمية خصوصية المنطقة الصحراوية.

قمنا بتحديد الإطار الزماني وفق الفترة ما بين القرن السادس والتاسع للهجري أما الإطار المكاني فقد اقترن بمدينة جاو ومكانتها الصحروية ومكانة التجارة في ازدهار هذه المدينة ضمن مملكة سنغاي.

أما أهداف الدراسة فهي كالآتي:

- معرفة أهم المراحل التاريخية لمدينة جاو وكيف أصبحت مدينة تجارية وما هي أهم المنتجات التجارية الهامة التي جعلت منها مدينة مزدهرة تجارياً.
- معرفة أهم المسالك التجارية التي كانت تهوى إلى المدينة إضافة إلى السلع التي تم تداولها بين التجار الأجانب والمحليين.
- معرفة تأثير الإسلام في ازدهار ونمو هذه المدينة من خلال القوافل التجارية.

من هذا قمنا بمعالجة الموضوع **وفق هذه الإشكالية:**

- **ما هي العوامل الجغرافية والسياسية التي جعلت من مدينة جاو قطباً تجارياً ومحوريا في تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى وما هو تأثير ذلك داخل مملكة سنغاي؟**

ومنه نطرح الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما أهمية الموقع الجغارفي لمدينة جاو؟

- ما هي أهم القوافل التجارية التي مرت على مدينة جاو؟

- ما دور الإسلام في ازدهار مدينة جاو؟

-ما هي أهم السلع المتداولة في مدينة جاو؟

وفي معالجتنا للإشكالية والأسئلة المطروحة اعتمدنا على: المنهج التاريخي الذي يندرج ضمن إطار تخصصنا من جهة ومن جهة أخرى يمثل جمع الأدلة الماضية والقيام بترتيبها ونقدها ثم عرضها بصورة تعكس أبجديات البحث العلمي، كما اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي من خلال عملية توصيف لمدينة جاو وكيف أصبحت مزدهرة بفضل السلع والمنتجات التي تم تداولها في تلك الحقبة الزمنية، بالإضافة إلى الممرات التجارية التي جعلت منها مركزاً تجارياً هاماً.

تعددت المصادر والمراجع التي اعتمدناها في هذه الدراسة فقد تنوعت من مصادر وكتب ومقالات، فقد تمثلت المصادر المعتمدة من خلال كتاب **وصف إفريقيا للحسن بن محمد**

الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ما أعاننا في توصيف مدينة جاو وممتلكاتها، إضافة إلى **إفريقيا لماربول كربخال** الذي أعطى توصيفاً دقيقاً لمدينة جاو وتجارتها وزراعتها وحال مبانيها، أما المقالات فقد استفدنا كثيراً من مقال لبطل شعبان محمد غرياني بعنوان **الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن 4-6 هـ/10-12م**، أما الرسائل العلمية فقد أعانتنا رسالة ماجستير لـ محمد ألفا جالو بعنوان **الحياة العلمية في دولة صنغاي 842-1000هـ/1464-1591م** في التعرف أكثر على المركز الاستراتيجي الذي كانت تتمتع به مدينة جاو داخل دولة صنغاي، وفيما يخص المراجع الأجنبية، كمرجع **Abderhamen Ben Abdallah Ben Imran Ben Amir** الذي تضمن المنتجات والسلع التي كانت تزخر بها مدينة جاو.

أما بخصوص هيكل الدراسة فقد عالجناه وفق الخطة الآتية: مقدمة، ثلاثة فصول ثم خاتمة لهذا الموضوع مع إبراز أهم النتائج المتوصل إليها ودعمنا هذه الدراسة بملاحق تخص الموقع الجغرافي لمدينة جاو وأهم المنتجات والسلع التجارية التي كانت تتداول في تلك المدينة.

يأتي الفصل الأول بعنوان: الإطار المفاهيمي والتاريخي لمدينة جاو خلال القرنين 06-09هـ

أما الفصل الثاني: النشاط التجاري في جاو ما بين 6-9هـ

في حين جاء الفصل الثالث بعنوان: ازدهار جاو تجارياً وتأثيره على الحياة الحضارية

أما الصعوبة التي واجهتنا خلال إنجاز هذه الدراسة فيمكن حصرها كالآتي:

- قلة المراجع التي تناولت موضوع دراستنا
- تشابه المراجع التي تناولت موضوع دراستنا.
- بعد الفترة الزمنية المدروسة.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي لمدينة جاو بين القرنين 06-09هـ

تمهيد

أولاً: الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة جاو

ثانياً التطور السياسي لمدينة غاو حتى القرن 9هـ

ثالثاً: ممكلة سونغاي ودور جاو داخلها

رابعاً: طرق التجارة الصحراوية ومحدداتها

تمهيد:

جاو هي مدينة من أهم المدن والمراكز الحضارية ببلاد السودان الغربي في العصر الإسلامي، حيث أدت دوارً تجاريًا نشطًا بين شمال الصحراء وجنوبها، كانت تحظى بدراسة تاريخ المدن والمراكز الحضارية بعناية الباحثين في التاريخ الإسلامي، لاسيما المدن التي أدت أدواراً فاعلة على المستويات السياسية والاقتصادية خاصة بين القرن السادس والتاسع للهجري، هذه الحقبة التاريخية شكلت فترة زمنية مزدهرة لهذه المدينة بفضل تجارتها.

أولاً: الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة جاو

تعد مدينة جاو بوقوعها عند ملتقى طرق التجارة البرية والنهرية أحد أهم مراكز التجارية عبر الصحراء التى شكلت نقطة إلتقاء بين الشمال الأفريقى وممالك السودان الغربي، فقد كانت محطة مهمة من محطات الطريق التجاري النهري الأشهر فى بلاد السودان الغربى، وهو طريق نهر النيجر الذي لعب دوراً محوريا في ازدهار تجارة هذه المدينة.

أ-أصل تسمية مدينة جاو

جاءت كلمة غاو في مصادر السودان المحلية على أنها "كاغ" فيقال كعت، لهذا الاسم لغتان كاغ وكوكو الذي هو اسم لمدينة حيث ذكرها ابن بطوطة على أنها كانت مدينة كبيرة على نهر النيل[1]، كما سميت بمدينة كاغو العظيمة وهذا حسب الوزان الفاسي[2].

لا يزال الغموض حول التاريخ الحقيقي لنشأة مدينة غاو، وتشير رواية تاريخية أن تاريخ تأسيسها كان على يد قبائل " السوركو SORKO"* وهم من الشعوب السودانية صيادو الأسماك وقد يكونوا هاجروا من شرق تشاد.

[1]- زينب التومي، **مراكز الحضارة في السودان الغربي**، مجلة آفاق فكرية، المجلد 06 العدد 01 ، 2020، ص04

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، الجزء الثاني، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1983، ص 169.

*- هي تركيبة السكانية والتاريخية لمنطقة حوض نهر النيجر في غرب أفريقيا.

إلا أن لفظ كاغ وكاغوا يعود إلى أصل اختلاف في لهجات أهل السودان في غرب إفريقيا الذي انبثق عن موطن شعب سونغاي الأول قبل أن يتخذوا من مدينة جاو عاصمة لهم مع بداية القرن الخامس للهجري[1].

ب- الموقع الجغرافي لمدينة جاو ودلالاته التجارية

لا شك أن أهمية مدينة غاو ازدادت وتضاعفت في عهد الاسقيين حيث تحولت إلى العاصمة السياسية فيذكر كعت أن غاو عرفت تطورا وكانت كثيرة السكان "كاغ بعضمتها وكثرة سكانها".

فهي تقع ضمن إقليم السودان الغربي وتقع تحديدا من الجهة الشرقية على ثنية نهر النيجر يذكر القلقشندي: "وكوكو شرقي النهر"، ويذكرها ابن بطوطة ويقول: "مدينة كوكو مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها"[2]، ويذكر أيضاً "رأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا نهر النيل من تنبكتو إلى كوكو وهي تعوم في الماء"[3]

وكان الطريق الصاعد منها شمالا يتفرع إلى فرعين الأيمن يتجه نحو وارجلان والأيسر يتجه نحو سجلماسة، أما الطريق العرضي فالمتجه منها شرقا يصل إلى تاكدة وكانم، والمتجه غربا يصل

[1]- زينب التومي، **مراكز الحضارة في السودان الغربي**، مجلة آفاق فكرية، المجلد 06 العدد 01 ، 2020، ص05

[2]- محمد مولاي، الحواضر العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين القرنين 1210هـ 1816م، مجلة عصور، العدد 36، 2017، ص205.

[3]-ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، الجزء الأول، تحقيقّ: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، دار أحياء العلوم، بيروت، ط01، 1987، ص 705.

إلى زاغارى ومنها إلى غانة وبلاد التكرور، إلى مدينة غانة ولأهمية موقعها كانت ممالك السودان الغربي كلها تخضع لملكها وهذا ما ذهب إليه اليعقوبي إذ ذكر أن مملكة كوكو كانت من أعظم ممالك السودان، وأجلها قدرا وأعظمها أمرا، وكل الممالك تعطى لملكها الطاعة[1].

وكان سكانها من تجار أغنياء يتجولون دائماً في المنطقة بسلعهم[2]، ورجال الدولة بينما الأساتذة وطلبة العلم بعدد أقل وبلغ عدد السكان بها خمسة وسبعين ألف بينما تمبكتو قدر عدد سكانها ثلاثون ألف فقط، كما سيطرت على طرق التجارة وأصبحت مقصد القوافل التجارية القادمة من بلاد الهوسا، هذا ما يعكس أهمية غاو الاقتصادية وذلك لكونها عاصمة الإمبراطورية وعاصمة ثقافية بدرجة أقل[3].

فقد اتخذتها دولة سنغاي عاصمة لها منذ أيام آل ضياء الأولى، وفي أيام الأسيقيين بلغت غاو أقصى ازدهارها، فقد وصفها ليون الإفريقي بالمدينة العظيمة في حين وصف تمبكتو بالمدينة فقط، ثم أضاف بأن غاو بها قصور الملك ورؤساء دولته، فهي من أجمل المدن في السودان الغربي كله.

[1]- بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص296.

[2]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص 169.

[3]- زينب التومي، المرجع السابق، ص 6.

وحسب الإحصاء الذي أجري في سنة 1585 فقد بلغت منازل غاو 7626 دارا مبنية بغير الأخصاص، أما الأكواخ فإنها لم تحسب وكانت كثيرة، واعتمادا على هذا الإحصاء قدر موني سكان غاو في أيام ازدهارها على أيام الأسيقين بخمسة وسبعين ألف نسمة.

بلغت درجة كبيرة من الازدهار أيام الأسيقين مقارنةً بمدينة تمبكتو فإن كثيرا من بضائعها كان ينقل إلى غاو، وكانت مدينة متحضرة جداً بالنسبة لتنبكتو[1]، وفي ذلك الوقت الذي قدر فيه سكان غاو بـ 75 ألف فإن سكان تمبكتو لم يكونوا يزيدون على الثلاثين ألفا، وهذا ما يدل على أن غاو كانت أكثر سكانا من تمبكتو، لأن بها مركز الإمبراطورية مما جعلها تصبح المدينة الأولى في عدد السكان.[2]

ووصفها الوازن الفاسي بأنها مدينة عظيمة غير مسورة: "دورها قبيحة على العموم إلا البعض منها جميل جدا حيث يسكن الملك وحاشيته، ويتحدث عن اقتصادها وسكانها تجار أغنياء، يتجولون دائما في المنطقة بسلعهم ويأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا أشياء مستوردة من بلاد البربر وأوروبا والمدينة "[3].

[1]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، 169.

[2]- حوتية محمد، **حواضر نهر النيجر تمبكتو – جيني – قاو**، مجلة الحقيقة، العدد 14، 2009، ص 344-345.

[3]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، 169.

ثانياً: مملكة سونغاي ودور جاو داخلها

بلغ أوج مجدها وعطائها العلمي على عهد حكم دولة سنغاي التي اتخدتها مقرا لحكمها وسلطانها خاصة في أيام حكم أسرة الاساكي، التي عملت على ازدهارها واستقطاب العلماء مثل الشيخ بن عبد الكريم المغيلي الذي جاءها من توات سنة 903هـ/ 1498م، وبقي بها لمدة سنة، عمل على نشر التربية الإسلامية بين شعبها، كما أفاد سلطانها محمد اسكيا بإجابة كان قد وجهها له على شكل أسئلة في جوانب عدة في السياسة والمجالات الاجتماعية والدينية عرفت بأسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي[1].

تشير المصادر التاريخية أن مملكة سنغاي تشكل ثالث أكبر تنظيم سياسي عرفته المنطقة إلى حدود القرن العاشر الهجري (16م)[2]، كان من الضربات القاضية التي قضت على إمبراطورية مالي الضربة الموجهة إليها من قبل مملكة الصنغاي التي تقع عند إنحناءة النيجر، فكانت مملكة الصنغاي تريد الاستقلال عن مالي، وكانت مالي ترفض هذا الطلب لأن مالي كانت تعتمد على بحارة الصنغاي من أجل ربط خطوط مواصلاتها على طول النيجر، فيما وراء مدينة جين Jenne ومع طرق التجارة الهامة، عبر الصحراء وحتى أرض الهوسا[3].

[1]– محمد مولاي، **الحواضر العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين القرنين 1210هـ 1816م**، مجلة عصور، العدد 36، 2017، ص205.

[2]– عبد الله عيسى، **أثر الإسلام على المجتمع الأفريقي خلال القرن 10هـ/16م ممكلكة سنغاي نموذجاً**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون (01)، حيزران، 2015، ص 281.

[3]– يوسف نصر، **تاريخ غرب إفريقيا**، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1982، ص62

فبعد موت سونى علي في عام 1492م خضع أباطرة مالي إلى ملوك الماندى الأقل شأنا والذين كانوا يقطنون وادى النيجر الأعلى، وكان سونى علي قد أنشأ قبل وفاته جيشا كبيرا لا يهزم، مؤلفا من الجماعات المختلفة التي هزمها في ميدان المعركة، وحقق بذلك سيطرة قوية على تجارة الإمبراطورية القديمة (إمبراطورية مالي) وبعد ذلك تأسست حكومة الصنغاي في ثلاث مدن رئيسية هي: تمبكتو وجين وجاو وكانت هذه المدن تمثل شبكة التجارة في السودان الغربي[1].

إن ظهور دولة زنجية إسلامية في قلب إفريقية، هي دولة سنغي، وازدهار هذه الدولة الإسلامية في عهد آسكيا أبو بكر الذي نجح في إخضاع كثير من الممالك السودانية، وتأسيس دولة واسعة تتحكم في مصادر التجارة السودانية مع الدعم عبر الصحراء الكبرى. وبلاد السودان، المعروفة للحسن الوزان والتي زارها بنفسه، خمس عشرة مملكة، يقع معظمها على ضفاف نهر النيجر أو قريبا منه أو قريبا من غيره من الأنهار، وهي ممالك والاتا، غينيا، مالي، تنبكت، جاجاو، جوبير، أغاديس، كانو، كاتسنا، زجزج، زنفرا، ونجارة، برنو، النوبة[2].

[1]- يوسف نصر، المرجع السابق، ص 64.

[2]- مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الإستعمار وآثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998، ص 234.

ثالثاً: مدينة جاو ضمن طرق التجارة الصحراوية

تعد الطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي عديدة، والتي اعتمُدت عبر مراحل زمنية مختلفة من القرن الأول الهجري إلى العاشر الهجري، وفي بعض مع الأحيان إشارات عرضية لبعض الطرق القديمة التي وجدت قبل العهد الإسلامي، ومن هذه الطرق التجارية انتشر الإسلام انتشارا هادئا وتدريجيا، على طول خط سير القوافل التجارية، حيث نلاحظ أن أكثر التجمعات السكانية المسلمة تتمركز في الأسواق والمراكز التجارية، وبالتالي كان لهذه الطرق أدوارا حضارية تمثل أهمها في نشر الإسلام والثاني تحقيق الربح وتنشيط الاقتصاد[1].

أ-الطرق التجارية الكبرى عبر الصحراء

تعددت الطرق التجارية ما بين المسالك النهرية والمسالة البرية وهذا عبر الطرق التجارية الكبرى عبر الصحراء.

أ-المسالك النهرية: نهر النيجر ربط مدينة تنبكتو بالمركزين التجاريين والإداريين جني على بعد 250 ميلا أي ما يقارب (400 كلم) تقريبا، وغاو تقريبا على نفس المسافة في اتجاه مجرى نهر

[1]- عطلي محمد، **الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد السادس، أكتوبر، 2017، ص 250-251.

النيجر واستخدمت مئات القوارب منذ القرن 7هـ - 13م وهذا عند فيضان النهر خلال أشهر جويلية وأوت، وسبتمبر[1].

ب-المسالك البرية: يقودنا الحديث عن التجارة بتنبكتو إلى الحديث عن المسالك والطرق التي تتخذها القوافل التجارية معبرا وإلى شمال إفريقيا ومصر، إذ تعتبر الطرق التجارية الرابطة بين السودان الغربي عامة ومدينة تنبكتو خاصة ونظيراتها في بلاد شمال إفريقيا حلقة الوصل الأساسية وهذه الطرق تخترق الصحراء في جميع جوانبها أما اتجاهها فمن الشمال إلى الجنوب، والعكس، وهذا باستثناء الطريق الذي يربط مصر بالمنطقة فإن اتجاهه كان من الشرق الغرب، وبالعكس.

1-طريق فاس – سجلماسة – تغازا – والاتا "ولاتة" – تنبكت: ظهر الطريق ببروز مدينة تنبكت كمحطة تجارية هامة، وهو الطريق الذي وصف مرحلته الأولى فاس – سجلماسة، الجغرافي الأندلسي أبو عبيد الله البكري ينطلق من مدينة فاس باتجاه سجلماسة مرورا بمدينة صفروي، الواقعة على الضفة الغربية لوادي سبو جنوب فاس، ثم يتجه عبر موقع صغير يقال له المزي، ثم إلى قرية تاسغمرت الواقعة على نهر سبو، ومنها إلى سجلماسة ويقدر ابن حوقل طول هذه المرحلة الأولى من الطريق بثلاثة عشر يوما من السير[2].

[1]- جنيدي عبد الحميد، **الأوضاع الاقتصادية في تنبكت (تمبكتو) في القرن 10هـ / 16م**، العدد الرابع، 2012، ص88.

[2]- جنيدي عبد الحميد، المرجع السابق، ص 86.

2-طريق سجلماسة أودغشت: توسط طريق سجلماسة الطرق الأطلسية للصحراء، جعل منها العاصمة الأولى للضفة الشمالية للصحراء ال كبرى، وفي المقابل كانت أودغشت عاصمة الضفة الجنوبية ، لذلك كثرت الطرق بين المدينتين، ويؤكد **الحسن الوزان** بأن سجلماسة كانت على علاقات تجارية واسعة بالسودان الغربي[1]

3-طريق تلمسان –غرداية – توات – تنبكت: من تلمسان ونواحيها تأتي القوافل التجارية وتجتمع في غرداية، ومنه تنطلق القوافل إلى توات ومن توات إلى تنبكت مخترقة أراضي قبائل التوارق (الطوارق)، بعد أن تدفع إتاوة مالية لمشايخ هذه القبائل نظير المرور بأراضيهم تعرف باسم (حق الطريق) وتستمر القافلة في سيرها المرهق والطويل قرابة الشهر والنصف (45) يوما.

4-طريق طرابلس – غدامس – عين صالح – توات – تنبكت: كان اتصال طرابلس الغرب بعاصمة الصحراء الكبرى تنبكت وبقية مناطق غرب إفريقيا يتم عن طريق واحة غدامس بشكل خاص، حيث كانت القوافل التجارية تتخذ طريقها انطلاقا من طرابلس ثم غدامس ومنها إلى عين صالح، وتوات بالجنوب الجزائري ثم تنبكت، وهناك نوعان من القوافل الأولى تتكون من 100 إلى 150 جملا وهي القوافل الصغيرة أما القوافل الكبيرة، فيتعدى عدد الجمال فيها ليصل إلى 2000 جمل.

[1]- عطلي محمد، المرجع السابق، ص 247

ج-طرق جاو التجارية عبر الصحراء:

أثبتت الدراسات التاريخية وجود اتصالات تجارية عبر الصحراء لتشمل مدينة جاو ولعل أهمها: **طريق تكرت وورقلة إلى غاو**: هذا الطريق ينطلق من الموانئ الجزائرية الهامة في الشمال مثل جزائر بني مزغنة وسكيكدة وعنابة، ومستغانم وغيرها، ويتصل بالمدن الكبيرة مثل: تلمسان وقسنطينة ومدن الجريد بالجنوب التونسي وبوادي ريغ وسوف وغيرها[1].

وكذلك الطريق من طرابلس الغرب عبر فزان وينتهي عند كانم، والطريق الذي يبدأ من تواني الجزائرية إلى كوكو في أواسط النيجر وأخيرا الطريق الذي يأتي من المغرب الأقصى محاذيا ساحل الأطلسي إلى بلاد تكرور[2].

وتتبع طريقًا يبدأ من وادي درعة مروراً بإدرار في موريتانيا الحالية لينتهي في الدلتا الداخلية لنهر لنيجر وهناك طريق آخر، وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية، إلا أن الحديث عنها خلال العصر الإسلامي، أصبح أكثر يسراً ، بفضل ما وفرته المصادر الإسلامية من إشارات تتعلق بنشاط التجار المسلمين عبر الصحراء، من خلال الكشف عن الكثير من السلع التي حملها أولئك التجار إلى المراكز التجارية بالسودان الغربي[3].

---

[1]- جنيدي عبد الحميد، المرجع السابق، ص 87.

[2]- عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، (ب.ط)، بنغازي، (ب، س)، ص 322-323.

[3]- بطل شعبان محمد غرياني، الصلات **التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الأثارية دراسة للفترة من القرن 4-6هـ / 10-12 م.** حولية كلية الأدب، جامعة بني سويف. مج 9، ج 2. 2020، ص 571

إن وقوع إقليم جاو على الطريق الواصل بين بلاد الهوسا في الشرق وبلاد الطوارق في الشمال، المراكز التجارية العامة في غرب الصحراء مكنها من تبوء مركز تجاري هام واستراتيجي ضمن مملكة سنغاي[1].

بدأت جاو تشارك بقوة في التجارة عبر الصحراء منذ بدايات القرن الرابع للهجرة، بدليل أن تقارير الحفائر الآثارية أثبتت أن غالبية المواد والسلع التجارية المكتشفة تعود إلى الفترة الممتدة من القرن 04-06هـ[2]

د- العوامل الطبيعية والبشرية التي ساعدت على نشاط التجارة

تعتبر التجارة من أهم الموارد التي اعتمدت عليها المملكة التي سيطرت كما أشرنا على الطرق الرئيسية التي تمر بها هذه التجارة عبر الصحراء الكبرى، وقد كانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية التي يرتادها الناس في المحلات القريبة منهم، كما توجد بعض الدكاكين البسيطة وكانت أغلب البضائع تباع في العراء[3]، ولكن إضافة إلى ذلك كانت توجد الأسواق الكبيرة وأغلبها يقع في شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير، وكانت توجد في تمبكتو وجاو ولاتا وكوكو، أما الأسعار فإنها تختلف من وقت لآخر خاصة أسعار الرقيق الذين كانت تختلف أسعارهم حسب ظروف السوق، وإجمالا فقد تحكمت الدولة في الأسعار

[1]- محمد ألفا جالو، **الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1424-1591م**، رسالة الماجستير، تخصص: الحضارة والنظم الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 115

[2]- بطل شعبان محمد غرياني،المرجع السابق، ص 573.

[3]- عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، (ب.ط)، بنغازي، (ب، س)، 321.

واستطاعت أن تسيطر على مناجم الملح وأن تحدد أسعارها التي جنت منها أرباحا طائلة ويذكر حوقل أن الممالك الإسلامية في السودان الغربي كانت حاجتهم إلى الملح ملحة لأنها لا قوام لهم إلا به، وربما بلغ حمل الملح في دواخل السودان أو أقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار[1].

كما اشتهرت المملكة بتجارة الخيول التي تعتبر أرفع شيء في السودان ولذلك لا يستطيع شراؤها إلا الأغنياء من الناس.

أما الإستيراد فكانوا يجلبون من الخارج مثل القمح والزبيب والتمور وبعض الفواكه المجففة، والأقمشة التي كانت تأتي من المغرب ومصر ومن أوروبا عن طريق المغرب، كذلك كانت تستورد السيوف[2].

تمبوكتو: نشأت على أيدي توارق، في أواخر القرن الخامس من الهجرة[3]، وتذكر بعد الروايات التاريخية أنها أسست عام 1100م، وكانت مدينة إسلامية منذ نشأتها، قال السعدي: (ما دنستها عبادة الأوثان، وما سجد على أديمها قط لغير الرحمن)[4].

---

[1]- عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، (ب.ط)، بنغازي، (ب، س)، 321.

[2]- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 321-322.

[3] -Abderhamen Ben Abdallah Ben Imran Ben Amir Rs-Sadi, Tradiction: O.Houdous, Librairais D'amerique Et D'oriont, Paris, 1981, p20.

[4]- محمد حمد كنان ميغا، مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكتو وغاوو وجني في عهد الأساكي، العدد الثالث، ذو الحجة 1429هـ- ديسمبر 2008م، ص 26.

يسمى هذا الإقليم باسم عاصمته تمبوكتو التي بنيت من قبل الملك منسا سليمان حوالي عام 610هـ/ 1200م ولا تبعد هذه المدينة عن ضفاف نهر النيجر إلا بنحو أربعة فراسخ وتعد مدينة تمبوكتو حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، فهي لا تعد عن قرية ولاته إلا بخمسة عشر يوما، وتبعد عن مدينة غاو نحو إثنتي عشر محلة عن جهة الشرق.

فالتجارة كانت تمثل بالدرجة الأولى المصدر الرئيسي في حياة السكان، وكانت تمثل الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية، وقد أدت دورا هاما في ازدهارها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا، فتوافد عليها التجار من كل حدب وصوب وخاصة من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى،[1].

تغازا: هناك اختلاف في تسميتها فمنهم من يطلق عليها بتغازا ومنهم من تغزة وهي مدينة مؤهلة بالسكان موقعها متوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة، تشتهر بمعدن الملح الغالي الثمن في أسواق السودان الغربي ومناجم الملح بهذه المدينة تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملح منحفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج الملح وذكر الوازن أن هؤلاء المستخدمون ليسوا من سكان البلدة بل هم من أصل أجنبي يأتون مع القوافل ويقيمون هنا يستخرجون الملح ويحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم.

[1]- بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص 297-298.

وكان الملح يحمل إلى تمبوكتو التي كان يعوزها الملح كثيرا ولقد اعتمد أهل تغازا في قوتهم ومئونتهم على ما حمله لهم التجار خاصة من مدينتي تمبوكتو ودرعة اللتين تبعدان عنها بحوالي عشرين يوما وكانت تعد هذه المدينة محطة التوافد القادمة من سجلماسة وتوات وطرابلس وغدامس[1].

خلاصة:

كانت جاو بمركزها الاستراتيجي تتمتع بمجموعة من الخصائص الاستراتيجية، الجغرافية، الاقتصادية والعمرانية، حيث تحولت إلى مركز تجاري كبير منذ أواخر القرن التاسع ميلادي، فنجد في أسواقها ملح الصحراء، وسلع شمال افريقيا إفريقية، وأصبحت في ذلك الوقت محطة للقوافل التجارية المتجهة نحو شمال إفريقيا، أو القادمة من تادمكة، كما أضحت أيضاً قبلة للدعاة والفقهاء.

[1]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 298.

الفصل الثاني:

النشاط التجاري في جاو ما بين 6-9هـ

تمهيد

أولاً: طبيعة السلع المتداولة في مدينة جاو

أ-صادرات جاو

ب- السلع الواردة إلى جاو

ثانياً: المؤسسات السياسية المنظمة للتجارة

تمهيد:

لعبت الطرق التجارية دورا بارزا في رسم معالم العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، وذلك يرجع إلى دورها في تنشيط المبادلات التجارية، وتحقيق الأرباح من جهة، وتوفير منتوجات ضرورية لا تتوفر في المنطقتين من جهة اخرى؛ فمدينة جاو برزت كمعلم تجاري مهم في منطقة السودان الغربي حتى أصبحت من أهم المدن التجارية التي راجت فيها مجموعة من السلع التي أصبحت ملتقى القوافل التجارية من مختلف المناطق عبر التجارة البرية عبر الصحراء مع الطرق النهرية المارة بنهر النيجر، هذه المدينة أضحت على اتصال دائم بعدد من الشركاء التجاريين، ببلاد المغرب الإسلامي، الأندلس، بلاد الشام مصر، والصين والهند، فضلاً عن صلتها بمراكز تجارية ببلاد السودان الغربي.

أولاً: طبيعة السلع المتداولة في مدينة جاو

كانت مدينة جاو مركزا تجاريا هاما نمت سريعا لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي، عبر المنطقة الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى المتجه نحو حوض النيل وأشرفت على حركة الملاحة والتجارة، على امتداد نهر النيجر وارتادتها القوافل التجارية، وأصبحت المدينة التجارية الأولى في وسط النهر[1].

ذكرها الجغرافي الأندلسي البكري سنة 1068 وقال عنها أن أهلها مسلمون ويحط بها المشركون وأكثر ما يتجهز بها الملح والودع والنحاس والمسبوك وحولها معادن من الحجر وهي أكثر بلاد السودان ذهبا[2].

أ-صادرات جاو:

لم تكن جاو مجرد مستورد لسلع التجارة عبر الصحراء، وإنما هيأ موقعها فرصة تصدير السلع المهمة التي عرفت طلبًا متنامياً في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي، ومن الأخيرة كان يصدر إلى أوروبا، ومن أهم السلع التي صدرتها جاو: الذهب، والعاج، والرقيق[3].

---

[1]-عميمور أيمن، أبو قاسم سعد الله، **التفاعل التجاري والثقافي بين السودانيين والمغاربية خلال القرن 10هـ/16م**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الأول، ديسمبر، 2016، ص 214. 215.

[2]- حوتية محمد، المرجع السابق، ص 344-345.

[3]- بطل شعبان محمد غرياني، الصلات **التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الأثارية دراسة للفترة من القرن 4-6هـ / 10-12 م**. حولية كلية الأدب، جامعة بني سويف. مج 9، ج 2. 2020، ص575.

1 –الذهب:

يأتي الذهب في مقدمة المواد الخام التي ساهمت جاو في تصديرها عبر الصحراء، بالنسبة للمصادر الإسلامية نجدها تؤكد رواج تجارة الذهب السوداني عبر الصحراء، بل وأبدى أصحاب هذه المصادر تعجبهم من كثرة هذا المعدن، فمزجوا الحديث عنه بروايات أسطورية، ومن هذه الإشارات تلك التي أوردها مؤلف فارسي مجهول من أهل القرن الرابع للهجرة، الذي تحدث عن بلاد السودان وتوافر أحجار الذهب بها[1].

كان ينعم أهل غاو بثراء نسبي، ويشتغلون التجارة في كثير من الجهات الإفريقية وكثير من تجارتهم يأتون من المناطق الداخلية بالذهب الذي يستبدلونه بالبضائع المستوردة من بلاد البربر[2].

وبالرغم من كثرة الذهب ببلاد السودان الغربي، كانت مناطق إنتاجه محدودة، ولم تكن جاو من ضمن هذه المناطق، لكن كان طبيعيًا أن تكون من أبرز المراكز المصدرة لهذا المعدن المهم، كواحدة من أهم محطات التجارة عبر الصحراء، فأسهمت بدور الوساطة في تجارة الذهب نتيجة الطلب المتزايد عليه، فاستقبلته من مناطق إنتاجه بعد أن نقل إليها عن طريق نهر النيجر عبر كوكيا، ومن جاو صُدر الذهب إلى مدينة تادمكة التي كانت محطة مهمة للتجارة عبر الصحراء.[3]

---

[1]– بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق، ص ص 575، 576.

[2]– بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص296.

[3]– بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق، ص 576، 577.

2-الملح: كان يمثل سلعة مهمة في تجارة الصحراء مند القدم، أي قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وذلك لعدم توفره بكميات كبيرة تكفي لسد متطلبات السكان داخل أرض السودان وكانت مدينة جاو أهم المراكز للإتجار بالملح ولا تقل أهميته عن الذهب بالنسبة للمغاربة، لذلك لم يبالوا بمبادلته بالذهب وزنا بوزن، واستعمل كعملة للمختلف المبادلات التجارية[1].

3 –العاج: ووفقًا للعمري وجدت الفيلة بكثرة في صحاري مملكة مالي، وأنها لا تؤذي إلا من تعرض لها، وهو ما يبرهن على وجود محاولات لاصطيادها لكنها كانت محفوفة بالمخاطر، ورغم ذلك يشير العمري إلى أن المصطبة التي كان يجلس عليها ملك مالي وتسمى البنبي، تزينت بأنياب الفيلة في جميع جوانب، وبهذا يمكن القول أن مخاطر اصطياد الفيلة قد أدت إلى تراجع معدلات التجارة في العاج المأخوذ من أنياب الفيل[2].

توفر العاج بكميات هائلة جعلت سكان الشمال يصنعون منه أواني للشرب ويزينون به الخيل، فكان من الكماليات المرغوب بها بالشمال الأفريقي، وتم تصديره للمغرب الأقصى ومنه لأوربا، وازدهرت تجارته خاصة على عهد دولة سنغاي[3].

---

[1]– عميمور أيمن، أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 216.

[2]– بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق، ص 579.

[3]– عطلي محمد، **الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد السادس، أكتوبر، 2017، ص 254.

وتبرهن الأدلة الآثارية على شهرة جاو في إنتاج العاج المصنع من أنياب فرس النهر، فقد اكتشف مخبأ يضم حوالي خمسين نابًا من أنياب فرس النهر في مدينة جاو ترجع للقرنين الرابع والخامس للهجرة /العاشر والحادي عشر للميلاد[1].

4 -الرقيق:

اشتهر الرقيق السوداني كسلعة من سلع التجارة عبر الصحراء، بحسب المصادر الإسلامية، ومن البديهي أن تشارك جاو في تصدير هذه السلعة، بحكم مركزها التجاري المتميز[2]، كما أشار الوزان الفاسي: "هناك ساحة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من الرقيق ذكوراً وإناثاً"[3].

واستغلالاً لدور الوساطة التجارية الذي ساهمت به بين مراكز شمال الصحراء، والمراكز السودانية في الجنوب وقد تعددت مصادر الحصول على الرقيق في بلاد السودان الغربي، وأبرز هذه المصادر؛ الحروب التي كان من نتائجها وقوع عدد كثير في الأسر، بل إن بعض الحروب نشبت بهدف قنص أكبر عدد من الرقيق، سواء لاستخدامه في الأنشطة الاقتصادية أو لغرض التجارة؛ لذا نظم بعض ملوك السودان في منطقة حوض نهر السنغال حملات عسكرية ضد بعض الشعوب والقبائل السودانية بهدف الحصول على حاجتهم من العبيد لاستخدام بعضهم في المجال الزراعي، وبيع البعض الآخر للتجار، بل كان ذلك دأب مختلف حكام الممالك السودانية، فكان

[1]- بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق، ص ص 580، 581.

[2]- المرجع نفسه، ص 584.

[3]- حسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ص 169.

ملك جاو ذا قوة كبيرة، ودخل في حروب عدة مع مجاوريه من الممالك المحيطة، ولهذا كان الرقيق أحد السلع التي صدرتها جاو[1].

وما نستشفه من أن تجارة العبيد كانت رائجة في هذه الفترة، قول ابن بطوطة وابن خلدون والمقريزي حينما تطرقوا لذكر قافلة حج الملك المالي كنكان موسى، الذي اصطحب معه في رحلته ما يقرب من الخمسمائة عبد، كما كان له عبيد كثر الذين يشتغلون بالحقول والمزارع والبيوت، بمعنى أن هذه التجارة بالفعل كانت ضخمة[2].

هذا الأمر يمكن تفسير على قلة أعداد الرقيق في التجارة العابرة للصحراء، فعلى العكس مما تحملنا المصادر الإسلامية على الاعتقاد به، لم تكن تجارة الرقيق تحقق فائض الأرباح المنتظر، قياسًا بما يحيط بها من مخاطر ومشاق، بالرغم من أن تجارة الرقيق كانت نشاطًا أكيدًا، لكنها لم تكن الدافع الرئيسي للتجار لعبور هذه المسافات، ومن المرجح أن الطلب السنوي على الرقيق كان محدودًا وعمومًا تبقى أركيولوجيا تجارة الرقيق في بلاد السودان الغربي بحاجة ماسة إلى مزيد من التحقيقات الميدانية في الحقول والغابات ومنازل الفلاحين، وأماكن تواجدهم[3].

---

[1]- بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق، ص 584.

[2]- عطلي محمد، **الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد السادس، أكتوبر، 2017، ص 254.

[3]- بطل شعبان محمد غرياني، **الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الأثارية دراسة للفترة من القرن 4-6هـ / 10-12 م.** حولية كلية الأدب، جامعة بني سويف. مج 9، ج 2، 2020، ص 585.

ب- السلع الواردة إلى جاو:

أهم السلع التجارية التي كانت تأتيها فهي الملح من تغازه، والودع الذي يجلب من الهند بواسطة التجارة المغاربية والنحاس المسبوك من تكدا، وكانت القوافل تصل إلى تمبكتو، ومنها تتجه إلى جاو وذلك في عصر ازدهار الطرق الصحراوية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، في بداية القرن العاشر للهجري[1].

كانت جاو تستورد عددًا من السلع المتنوعة عبر الصحراء، وتعبر هذه السلع عن الحاجات الاستهلاكية المهمة لأهل السودان الغربي بالمقارنة مع ما يأخذه التجار من السودان الغربي من ذهب وملح...الخ، وتزداد قيمة هذه المواد بسبب السفر المضني والمسافات الطويلة التي يقطعها التجار عبر الصحراء الكبرى من الشمال إلى الجنوب، فكلما ازدادت المسافة ازداد السعر خصوصا إذا علمنا أن التجار شمال إفريقيا هم من يتنقلون إلى الجنوب[2].

1- الزجاج:

منذ منتصف القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد أصبحت جاو تمثل أهم مستورد للزجاج الإسلامي في السودان الغربي، وأهم موزع له بفضل التجارة عبر الصحراء، حيث استوردت كميات كثيرة من الزجاج من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين

[1]-عميمور أيمن، **التفاعل التجاري والثقافي بين السودانيين والمغاربية خلال القرن 10هـ/16م**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الأول، ديسمبر، 2016، ص 214. 215.

[2]- عطلي محمد، المرجع السابق، ص 254

القرنين الرابع إلى السادس للهجرة[1]، لم تقف استخدامات الزجاج عند أغراض الزينة، أو استخدامه للتبادل التجاري، وإنما أقبل أهل جاو، وأهل السودان الغربي عامة، على شراء المصنوعات الزجاجية، لأغراض الاستخدام المنزلي، لاسيما الأواني الزجاجية المعدة لأغراض الطعام والشراب، والتي عدت من أهم السلع التي استوردتها جاو من العالم الإسلامي إذ اكتشف ثلاثة أواني زجاجية في موقع جاو، تعود للقرنين.[2]

واستخدمت الأوزان المصنوعة من الزجاج في وزن الذهب، بدليل العثور على هذه الأوزان في موقع جاو القديم وفي مواقع مختلفة بغربي أفريقيا.[3]

2 –الفَخَّار والخزف:

استوردت جاو الفخار والخزف عبر الصحراء وفقًا لتقارير الحفائر الآثارية التي أثبتت وجود تجمعات للفخار الأحمر في جاو ساني، وتجمعات أخرى مشابهة بالقرب من تنبكتو، وبنتيا.

فالخزفيات المجلوبة من الشمال تميزت عن المنتجة محليًا بإتقانها وتعقد زخرفتها وطلائها، وهي تنقسم إلى شكلين :خزفيات مغطاة بطلاءٍ أبيض، وأخرى مبرنقة، ونتيجة لكثرة شظايا هذه الأشكال في المواقع المختلفة بالصحراء وبلاد السودان، تبين أهمية الفخار والخزف في التجارة

[1]– بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق ، ص 586

[2]– المرجع نفسه، ص 590.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 592، 593.

العابرة للصحراء، وأن وصولها من مناطق بعيدة بالرغم من هشاشتها وثقل وزنها يؤكد تزايد الطلب عليه[1]، فالمرايا والأمشاط، كانت بضائع تأتي من مدن البندقية وميلان وبرشلونة[2].

3 – الأحجار الكريمة:

تعددت استخدامات الأحجار الكريمة في مدينة جاو وبلاد السودان الغربي بوجه عام، فبالإضافة إلى استخدامها كحلي، استخدمت أيضاً لأغراض علاجية، مما منحها قيمة عالية بين طبقات المجتمع كافة، فمن المعروف ولع السودانيين بأدوات الزينة من الحلي الزجاجية والأحجار الكريمة.

ومما يؤكد الإقبال على شراء الأحجار الكريمة، تأكيد البكري خلال القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد على حمل التجار لهذه السلعة إلى الممالك السودانية، لاسيما مملكة غانة، وأن هذه الأحجار عُدت من أنفس الأشياء ببلاد السودان الغربي، ودفع السودانيون أثمانًا باهظة فيها.

4 – النحاس:

استخدم السودانيون النحاس لصناعة الحلي لتتزين به النساء، وفضلوه على الذهب، أما الإدريسي فقد أكد أهمية النحاس الأحمر والملون في التجارة عبر الصحراء خلال القرن السادس للهجرة /الثاني عشر للميلاد.

---

[1]– بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق. ص595.

[2]– عميمور أيمن، أبو قاسم سعد الله، **التفاعل التجاري والثقافي بين السودانيين والمغاربية خلال القرن 10هـ/16م**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الأول، ديسمبر، 2016، ص 217.

5 –الرصاص:

كان يستخدم لتخفيف المعادن، لا سيما النحاس، والفضة، وهي من بين السلع التي استوردتها بلاد السودان الغربي.

6 –السلع الغذائية:

أثبتت تقارير الحفائر في مدينة جاو استراد هذه المدينة لبعض السلع الغذائية، ومنها التمر الذي اكتشفت بعض بقاياه، وقد حملت القوافل التجارية التمر إلى بلاد السودان لا سيما أن أشجار النخيل لم تكن تزرع في جاو وهو ما يتفق مع ما أوردته المصادر، فوفقًا للإدريسي كان التمر ضمن واردات جاو عبر الصحراء.

كان إقليم جاو يزخر بالأراضي الخصبة والمراعي الخضراء والأنعام الكثيرة، وكان ينتج البطيخ والفقوس والبصل والقرع وكثيرا من الخضر[1].

7 –الملابس والأقمشة:

تعد الملابس والأقمشة من السلع المهمة التي استوردتها جاو، ولكن بينما تحدث الجغرافيون والمؤرخون والرحالة عن الأقمشة والملابس التي حملها التجار المسلمون لبلاد السودان، غابت هذه السلعة عمليًا في تقارير الحفائر الآثارية في مختلف المواقع، ويفسر هذا بأن الأقمشة والمنسوجات من السلع سريعة التلف، ولا يمكن بقاؤها لفترات طويلة بعكس الزجاج والمواد الصلبة الأخرى.

[1]– مارمول كربخال، **إفريقيا**، الجزء الثالث، تر: عمر جحي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط، (1988-1989)، ص 204

وعمومًا توفر الشهادات المصدرية عدة أدلة بشأن رواج تجارة الملابس والأقمشة عبر الصحراء، فالبيروني، أكد ولع السودانيين بهذه الملابس، استوردت جاو الحرير وثياب الخز والكتان، أما الإدريسي فقد تحدث عن استراد بلاد السودان الغربي للأكسية وثياب الصوف، والعمائم[1].

[1]- بطل شعبان محمد غرياني، المرجع السابق. ص ص 601-602.

ثانياً: المؤسسات السياسية المنظمة للتجارة

تعددت المؤسسات والمراتب الساسية التي كنات تنظم حرة التجارة داخل مدينة جاو وهذا ما جعل منا مدينة مزدهرة تجارياً.

وظيفة حاكم عام العاصمة: ويسمى باللغة السودانية (الكوار باندمو نديو)، وتنفرد جاو بهذه الوظيفة عن باقي مدن السودان الأخرى نظراً لأهميتها، وعادة ما يتولى هذا المنصب أحد أفراد بيت الحاكم.

وأولى مهامه الإشراف على المدينة وأسواقها وشوارعها ، وترتيب موظفي الخدمات العامة والأمن، مثل الحراسة والشرطة وغيرها، ومراقبتهم ودفع أجورهم ومراقبة جباية الضرائب ودفعها بالوقت المحدد للخزينة ويساعده في تنفيذ مهامه عدد من الموظفين وهم:

أ- نائب الحاكم : وله أكثر من مسمى في منطقة غرب أفريقيا وفقاً للهجات شعوبها ولغاتهم فهو في مالي يسمى الغربا، وفي مناطق أخرى يسمى صندكي ومهامة في الأساس هي مساعدة الحاكم في إدارة مدينته والإشراف على الموظفين العاملين في المدينة[1].

ب -مفتش الضرائب العامة: ووظيفة صاحبها الإدارية تسمى موندي ومهامه مراقبة الأسواق واستيفاء ضرائبها، وله أعوان منتشرون في الأسواق وعلى الحدود لتحصيل الرسوم المفروضة على الداخل والخارج من البضاعات.

[1]- حماد محمد الجهيمي، **الحياة السياسية والنظم الإدارية والحربية بمملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 899-935هـ/1493-1528م**، مجلة الدراسات العليا للبحوث والدراسات العلمية-العدد الثامن-يونيو، 2003، ص 371.

ج-جابي الضرائب: ويسمى بالاماو مهمته تحصيل أموال الضرائب المترتبة على السلع والتجارة ومحلات البيع والعقارات وكل من تفرض عليها الضرائب.

د رئيس السوق: ويسمى يوبوكوي، وفي المدن الإسلامية، سواء أكان في المشرق أم المغرب يطلق عليه اسم المحتسب أو صاحب السوق ومهام هذا الموظف مراقبة الأسواق وتنظيمها في المدينة، وعقد الأسواق اليومية والأسبوعية، وكان عليه مراقبة الأوزان والمقاييس والمكاييل وفحص العملة لتمييز الجيد من الرديء، ومراقبة البضائع وصلاحيتها وأسعارها ومنع الغش فيها، وله أيضاً مراقبة الآداب العامة وسلوك الناس في الأسواق.

هـ- مدير الميناء: ويسمى كيمي ومهامه إدارة الميناء، والإشراف على بناء السفن وصيانتها. وتنظيم عمليات الشحن والتفريغ للبضائع.

و -المسؤول عن إرساء السفن: ويسمى هيكوي وهذا بمثابة قائد الشرطة النهرية، ومهامه مراقبة الطرق التجارية وحمايتها وضمان سلامة وصول البضائع إلى وجهتها المقررة[1].

خلاصة:

كانت مدينة جاو أيام الأسقيين قد بلغت درجة كبيرة من الازدهار، وكانت القوافل التي تأتي تمبكتو الكثير من سلعها تنقل إلى جاو، حتى عدد سكان هذه الأخيرة كان أكبر من تعداد سكان تنبكتو، وهذا ما يدل على تمركز الإمبراطورية بمدينة جاو التي كان يقطنها التجار ورجال الدولة.

[1]- حماد محمد الجهيمي، المرجع السابق، ص 371.

الفصل الثالث:

ازدهار جاو تجارياً وتأثيره على الحياة الحضارية

تمهيد

أولاً: أثر التجارة في بلورة الفكر الحضاري لمدينة جاو

أ- الأثر الاقتصادي

ب- الأثر الثقافي والديني

ثانياً: ازدهار ممكلة سنغاي وأفولها

أ- ازدهار ممكلة سنغاي

ب- أفول وتراجع ممكلة سنغاي

تمهيد:

مثلت جاو منارة وقاعدة تجارية هامة وإسلامية أيضا كان تمثل مركزا تجاريا ونقطة التقاء القوافل التجارية، وحلقة وصل بين مدن المغرب العربي والمشرق العربي، حيث قامت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية في السودان الغربي كله، وأصبحت من أهم وأشهر الحواضر الإسلامية في العالم، وترتب على ذلك تحضر السكان وأهم العوامل التي ساعدت في ذلك ازدهار الحركة التعليمية والدينية في تدريس التلاميذ في الكتاتيب القرآنية والمساجد والجوامع في أرض السنغاي، خاصة خلال القرن 15 و16م، والتي تمثل فترة الأوج في مدينة غاو.

أولاً: أثر التجارة في بلورة الفكر الحضاري لمدينة جاو

كان لانتشار الدين الإسلامي في منطقة غرب إفريقيا والحركة التجارية ضمن القوافل التجارية في ظل هذا الانتعاش الاقتصادي، حيث أصبحت مدينة جاو ملتقى التجار والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامي، يجوبون البلاد حاملين سلعهم ودعوتهم الإسلامية إلى الناس، ويلتقون في المدن التجارية الكبيرة، ويتبادلون الأفكار ويقيمون الصلوات الجامعة، وينفقون على أعمال البر والخير، ويحظون بثقة الحكام، هذه الظروف ساهمت في بلورة الفكر الحضاري لمدينة جاو.

أ- الأثر الاقتصادي:

كانت مملكة السنغاي أكبر وأعظم، وكانت تضم مناطق ذات أجواء ومحاصيل أكثر تعددا مما كانت عليه دولة مالي، وكانت فيها نحاس وذهب، كما كانت مناجم الملح خاضعة لها، وهكذا تدفقت الأرباح على حكومة سنغي وشعبها، نابعة من المناجم وخصب الأرض أو وافده مع التجارة الصاعدة والهابطة، فلا غزو إذا سمعنا أن عاصمة سنغي كان يقطنها أغنى تجار السودان وأكثرهم قوة ونفوذا، ويغشى أسواقها أفواج كبيرة من الزنوج لشراء حاجتهم من الأقمشة خاصة، وغيرها من الضروريات والكماليات[1].

[1]- مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الإستعمار وآثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998، ص241.

وليس أدل على قوة هذه الدولة الاقتصادية أكبر من الأشياء التي فعلها الحاج آسكيا محمد في حجته إلى مكة، فالسعدي يذكر أنه تصدق في الحرمين بمئة ألف مثقال من الذهب، واشترى بساتين في المدينة المنورة حبسها على أهل تكرور، واشترى هدايا وسلعا بمئة ألف[1].

ب- الأثر الثقافي والديني:

أصبحت اللغة العربية لغة الدواوين والسجلات الرسمية وفي القرن السادس الهجري- الثاني عشر الميلادي، كما أصبحت اللغة التخاطب في مدن غرب أفريقيا كلغة الرسمية في دولة السنغاي، ووردت المراسلات بين الملوك السودان وحكام مصر والمغرب باللغة العربية وهو يشير إلى انتشار اللغة العربية هناك دون إكراه بل برغبة سكان البلاد[2].

كما زار علماء من تنبكتو أمثال أبو المحاسن محمود بن عمر وكان عالما متفننا في علوم شتى بالإضافة إلى علماء من مصر، وفاس، وتلمسان، لتستمر غاو كإحدى كبريات المراكز العلمية في بلاد السودان الغربي إلى جانب تنبكتو وجني طيلة القرنين التاسع والعاشر الهجري الخامس عشر والسادس عشر ميلادي إلى أن سقطت دولة سنغاي على أثر الغزو المغربي واستبدالها بحكم الباشورات المغاربة في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي[3].

---

[1]- مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص241.

[2]- بشار أكرم جميل الملاح، **أثر الحضارة العربية الإسلامية على غرب أفريقيا**، مدار تاريخية، المجلد الثاني، العدد الخامس مارس، 2020، 408.

[3]- محمد مولاي، الحواضر **العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين القرنين 1210هـ 1816م**، مجلة عصور، العدد 36، 2017، ص205.

لم تقتصر عملية بناء المساجد والكتاتيب القرآنية على مدينة تنبكتو فقط، بل شملت أيضا مدينة غاو في عهد الأسقيا محمد، وساهم الحكام والأثرياء في التمكين للإسلام ببناء المدارس القرآنية والجوامع، عن طريق الأوقاف على المساجد والأئمة والمؤذنين والخطباء والمدرسين أي مدرسي القرآن الكريم والعلوم الإسلامية المختلفة في هذه الحضارة (السياسية) الإسلامية.

ويقول محمد حمد كنان ميغا: " أن المجالس العلمية كانت تعقد ويحضرها الحكام، ومنهم أسقيا داود، وهناك مجلس الجمعة في كل أسبوع إثر الصلاة، علاوة على المكتبات العامة التي كانت توفر في مدينة غاو للبحث والمطالعة، ومن أشهر المكتبات مكتبة الأسقيا داود، ومكتبة أسقيا محمد الأول، ومكتبة أسقيا محمد بان بن أسقيا داود"، وقد تجسدت المبادئ الإسلامية بشكل واضح وجلي في مملكة غاو، حيث كان سلاطين السنغاي يجمعون العلماء والشيوخ أثناء الحروب لاستشارتهم في أمور المملكة والأخطار المحدقة بها، وتكون القرارات المتخذة جماعية، وفي عهد الأسيقيا محمد، لم يكن لسلطة العلماء آية حدود، حتى أن الناس آمنوا بقدسية العلماء، واستمر الوضع على هذا الحال حتى القرن 19 و20م، وكان الكثير من العلماء يوصلون أنسابهم إلى الأسرة الهاشمية، لذلك لقبوا بالشرفاء، ذلك أن بعض المجتمعات تعتقد بأن كثرة الشرفاء في بلد ما يؤدب بأهله إلى الجنة.

لقد أتت الحركة التعليمية تدريس التلاميذ في الكتاتيب القرآنية والمساجد والجوامع أكلها في أرض السنغاي، خاصة خلال القرن 15 و16م، والتي تمثل فترة الأوج في مدينة غاو، والتي تحولت

مع المدن الأخرى كتنبكتو وجني إلى مراكز ثقافية مرموقة، كما ظهرت مؤلفات كبار العلماء. ويظهر مما سبق الدور العظيم الذي قام بع علماء غاو في نشر الثقافة وعلوم القرآن والسنة النبوية الشريفة، ما جعلها أي غاو مركز علميا وثقافيا مشهورا إلى جانب دورها السياسي باعتبارها عاصمة البلاد، ولا يكتمل الحديث عن كتاتيب ومدارس تنبكتو وغاو، والنشاط الفكري والثقافي للمدينتين دون التعريف بطبقة علماء هاتين الحاضرتين الإسلاميتين[1].

لقد أدى اعتناق الأفارقة للإسلام إلى إعطاء الحضارة الإفريقية طابع إسلامي كبير صبغت بها الطقوس الحياتية الأساسية التي يتميزها مجرى حياة الفرد منذ والدته وحتى مماته، فقد تركت الشريعة الإسلامية أثرها الكبير على حياة الأسرة الإفريقية من حيث عادات الزواج والميراث ودفع الدية وغيرها، مع الحفاظ على المكتتسبات الأصلية للحضارة الإفريقية[2].

[1]– صحراوي عبد القادر، **الكتاتيب القرآنية والثقافة الإسلامية في إفريقيا الغربية مدينتي تنبكتو وغاو أنموذجا**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد 1، 2019، ص 127

[2]– بشار أكرم جميل الملاح، المرجع السابق، ص 409.

ثانياً: ازدهار ممكلة سنغاي وأفولها

وما ميز التجارة فيها هو انضمام الفقهاء والعلماء إلى ركب القوافل التجارية؛ يحملون معهم إلى جانب السلع، أفكارا جديدة عن الأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما وصلت إليه هذه البلدان من حضارة وتقدم في ظل الإسلام، وكثيرا ما كان يعمل هؤلاء الفقهاء على تثقيف الناس في أمور دينهم، والاختلاف بسيط بين التاجر والداعي، فالتاجر يهتم بالتجارة والدعوة معا، والداعي اهتمامه الأول بالدعوة الإسلامية[1].

أ- ازدهار ممكلة سنغاي:

تمتد مساكنهم على طول نهر النيجر وتسكن قرب حدود الغابات الاستوائية يشتغلون في الزراعة تبعد مدينتهم التي تأسست في القرن السابع ميلادي حيث تبعد عن مدينة جاو بخمسين كلم، انتشر الإسلام في بلاد السنغاي ويتمركز معظمهم في مالي والنيجر ونيجيريا حيث امتزجوا مع القبائل المهاجرة من الشمال الإفريقي ومعظمهم يتحدثون لغة السنغاي التي كانت تكتب حروفها بالعربية[2].

كانت المعركة التي دارت سنة 1069هـ/ 1464هـ بين مالي وسنغي هي بداية التحرر الكامل، وبذلك يعد سني علي الكبير المؤسس الحقيقي لدولة سنغي، واستولى بعد ذلك على كل

[1]- عطلي محمد، **الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد السادس، أكتوبر، 2017، ص 254.

[2]- علي زين العابدين، **الإشعاع العلمي والاقتصادي لقبائل الصحراء وبلاد السودان الغربي خلال القرن الثامن عشر ميلادي ومطلع القرن التاسع عشر**، الحوار الفكري، المجلد: 13، العدد: 16، 2018، ص279.

المدن التجارية والثقافية الهامة حتى تكتمل لديه مقومات الدولة القوية، فكان أول هدف له مدينة تنبكت العظيمة سنة 1468م، تلك المدينة التي تعد الصورة الحقيقية لتاريخ العلاقات التجارية والثقافية بين إفريقيا شمالي الصحراء وجنوبي الصحراء، والتاريخ لهذه المدينة يعد سجلا حقيقيا وكاملا لتاريخ تلك الثقافة. لذا كان الاستلاء عليها يعني ضم أكبر عنصر حضاري إلى دولة سنغي. وبعد الاستيلاء عليها طرد الطوارق، وامتد سلطانه فشمل كل الأراضي التي تحيط بمنحنى النيجر، وبسط نفوذه في سهول غربي إفريقية، فشملها جميعا[1].

لقد انتشر الإسلام في مملكة سنغاي بشهادة كثير من أصحاب مصادرنا التاريخية بفضل ثلاث وسائل رئيسية، وهي: طرق القوافل التجارية، والتجار العرب المنتمون لشمال أفريقيا ومصر، والدعارة والمبشرون الأفارقة، غير أن العامل الأهم في نظرنا والذي ساعد في انتشار الإسلام في تلك المنطقة يعود إلى الدين الإسلامي نفسه، فهو ذو نظام اجتماعي راق يدعو إلى المساواة بين الناس، لا يقيم وزنا لفوارق اللون أو الطبقة، وإنما الفارق من خلال ما يفعله العبد من أعمال صالحة، لذلك فإن الدين الإسلامي كثيرا ما يوصف بأنه أكثر الأديان ديمقراطية.

ومثلما كانت طرق القوافل التجارية شريانا للمعاملات الاقتصادية بين مراكز الشمال الإفريقي وبين الغرب الإفريقي، فقد ظلت في الوقت نفسه إشعاعا للمؤثرات الثقافية حيث أصبحت المحطات المنتشرة على طول القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، أماكن لاحتكاك

[1]– مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الإستعمار وآثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998، ص 228.

الأفكار تأثيرا وتأثرا، وذلك بفضل ما تقدمه للمسافرين من مأوى وسبل الراحة والإستجمام، كما ازدهرت المراكز التجارية المهمة في مملكة سنغاي من الناحيتين، الاقتصادية والثقافية وأشهرها، جاو، وجني، وتنبكتو وإلى جانب انتعاش المجالات الاقتصادية فقد أدت بعض المراكز في الشمال الإفريقي مثل، طرابلس وتلمسان ومراكش والقاهرة دورا بارزا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في تلك المناطق[1].

لم يقتصر دور التجار العرب على مجالات التجارة والأنشطة الاقتصادية فحسب، بل تعداها إلى التبشير بالدين الإسلامي، وتعميق الصلات الثقافية بنشر اللغة العربية، وبناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن وهكذا، فقد أضحى التجار العرب يقومون بمهمة الدعاة المسلمين، إلى جانب نشاطهم التجاري، فحملوا معهم العقيدة الإسلامية والحضارة العربية وكان من نتائج احتكاكهم واختلاطهم بالأفارقة أن حدث التزاوج والمصاهرة، وانتشار الإسلام تدريجيا وسلميا في تلك البقاع[2].

ب- أفول وتراجع ممكلة سنغاي

أصبحت هذه المملكة ضعيفة في عهد الاسقيا اسحاق الثاني (1588-1891م)، ما جعلها محل أطماع المغرب الأقصى التي انتهت بمواجهة عسكرية تم اخضاع فيها هذه المملكة

[1]- عبد الله عيسى، **أثر الإسلام على المجتمع الأفريقي خلال القرن 10هـ/16م ممكلكة سنغاي نموذجاً**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون (01)، جيزران، 2015، ص 283.

[2]- عبد الله عيسى، المرجع السابق، ص 284.

وينتهي حكم عائلة الاسقيين وتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ سنغاي الا وهي سنغاي تحت وطاة الحكم المغربي[1].

فقد ساهمت عوامل داخلية وخارجية في أفول هذه الممكلة ومعها مدينة جاو التجارية ما شكل فراغاً سياسياً كبيراً منطقة السودان الغربي ما سمح بحدوث نزاعات وصراعات كثيرة في إطار سياسة بسط النفوذ والسيطرة و تنامي نشاط المجموعات الوثنية فيها[2].

خلاصة:

استطاعات التجارة في مدينة جاو جعل الفقهاء والعلماء ينظمون إلى ركب القوافل التجارية، يحملون معهم إلى جانب السلع، أفكارا جديدة عن الأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما وصلت إليه هذه البلدان من حضارة وتقدم في ظل الإسلام، فالموقع الاستراتيجي والدور الاقتصادي الحيوي الذي أصبحت تحظى به مدينة جاو كان جديراً بأن يلفت انتباه ملوك كوكيا نحوها، لذا فبعدما كانت كوكيا عاصمتهم الأولى، وقاعدة حكمهم لمدة ثلاثة قرون، نقلوا عاصمتهم إلى جاو التي ستضل عاصمة مملكة سنغاي، وكذا الإمبراطورية السنغائية التي قامت بعد ذلك على أنقاض إمبراطورية مالي، وبانتقال السنغاي إلى عاصمتهم الجديدة جاو أو كوكو تبدأ المرحلة الهامة من تاريخهم، وذلك مع أواخر القرن العاشر للميلاد، التي تعد أكثر المراحل شهرة بالنسبة لتاريخ مملكة سونغاي.

[1]– رشيدة السعدي، **الممالك الاسلامية في غرب افريقيا إمبراطورية سنغاي الإسلامية أنموذجا (النشأة والتطور)**، محلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، المجلد 02 ، العدد 01، جوان 2018، ص 181.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 181–182.

الخاتمة

الخاتمة:

مثلت الحركة التجارية المنظومة الأساسية للعالم الاقتصادي، التجاري والثقافي في العصور الوسطى، نظرا لما نتج عنها من اتصال مباشر بين سكان الشمال الإفريقي والسودان الغربي، فحركة المسالك التجارية تمخض عنها ظهور مراكز تجارية، وازدادت بفضلها المبادلات التجارية، وشكلت همزة الوصل بين الشمال والجنوب بالرغم من بعد المسافة الجغرافية، كانت مدينة جاو تمثل منارة وقاعدة هامة إسلامية لما مثلته من مركز تجاري ونقطة التقاء القوافل التجارية، وحلقة وصل بين مدن المغرب العربي والمشرق العربي، قامت جاو بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية في السودان الغربي كله، حيث أصبحت من أهم وأشهر الحواضر الإسلامية في العالم، وترتب على ذلك تحضر السكان وأهم العوامل التي ساعدت في ذلك ازدهار حركة التجارة والحركة التعليمية.

أصبحت جاو خلال القرنين(09-10هـ)/(15-16م)، عاصمة لمملكة صنغى إحدى الممالك الإسلامية الكبرى فى السودان الغربي، فامتازت بوقوعها عند ملتقى طرق التجارة البرية والنهرية، فغدت من أهم نقاط التجارة عبر الصحراء التى ربطت بين الشمال الأفريقى وممالك السودان الغربى.

كما كانت محطة مهمة من محطات الطريق التجاري النهري الأشهر فى بلاد السودان الغربى، وهو طريق نهر النيجر، والذى يصل المدينة بالمحطات المهمة الأخرى فى تلك البلاد، ومنها تنبكتو وجنى، وقد ساهم هذا الموقع المتميز في جعل جاو مدينة مؤثرة فى التجارة عبر الصحراء

الكبرى، حيث استوردت كميات متنوعة من السلع، جعلت من جاو وسيطًا تجاريًا مهمًا بين سلع المغرب والمشرق الإسلامى، وسلع بلاد السودان.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع يمكن تحصيل مجموع من النتائج لعل أهمها فيمايلي:

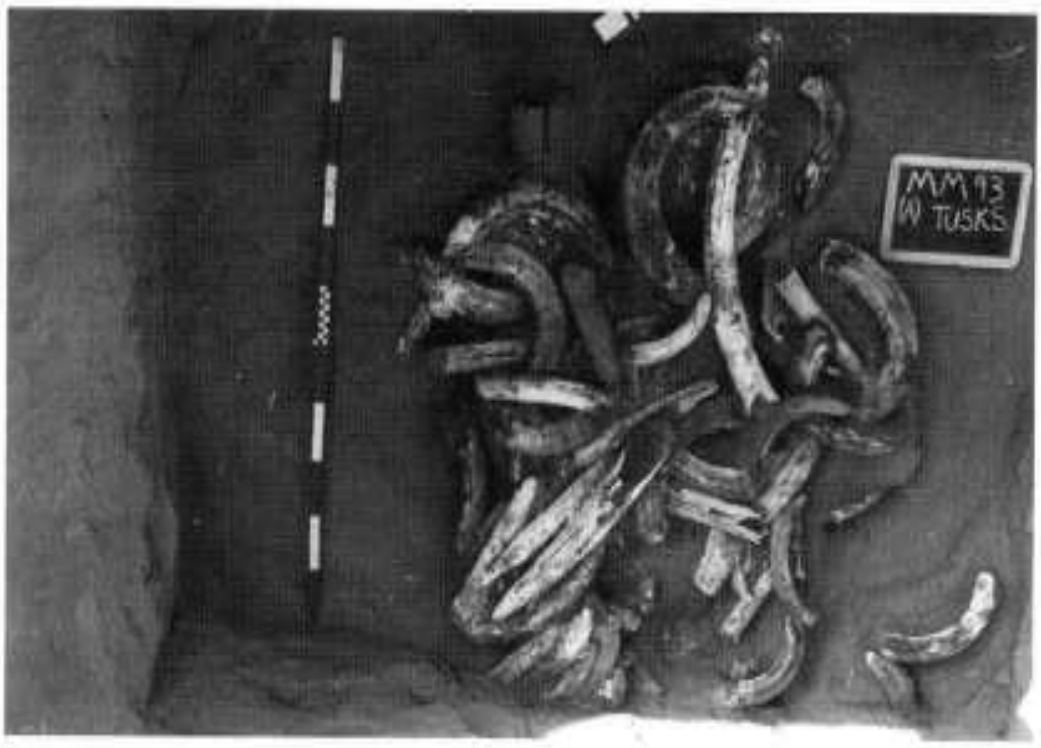
- إسهام موقع جاو المتميز عند التقاء طرق التجارة البرية عبر الصحراء مع الطرق النهرية المارة بنهر النيجر، في اتصال هذه المدينة بعدد من الشركاء التجاريين، بالمراكز التجارية ببلاد السودان الغربي.
- ساهم تعدد الطرق والمسالك التجارية في نشر الثقافة الإسلامية، وهذا ما وطد جسور التواصل بين الشمال والجنوب.
- كان ينعم أهل غاو بثراء نسبي، ويشتغلون التجارة في كثير من الجهات الإفريقية وكثير من تجارتهم يأتون من المناطق الداخلية بالذهب الذي يستبدلونه بالبضائع المستوردة من بلاد البربر.
- لعبت الطرق التجارية دورا بارزا في رسم معالم العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الشمال الإفريقي ومدينة جاو، وذلك يرجع إلى دورها في تنشيط المبادلات التجاري.
- شكل نهر النيجر أحد المحددات الرئيسية التي تجسد في المسالك المائية التي أنعشت التجارة في مدينة جاو.
- جعلت التجارة من مدينة جاو الفقهاء والعلماء ينظمون إلى ركب القوافل التجارية، يحملون معهم أفكارا جديدة عن الأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مختلف أقطار العالم الإسلامي.

الملاحق

الملاحق:

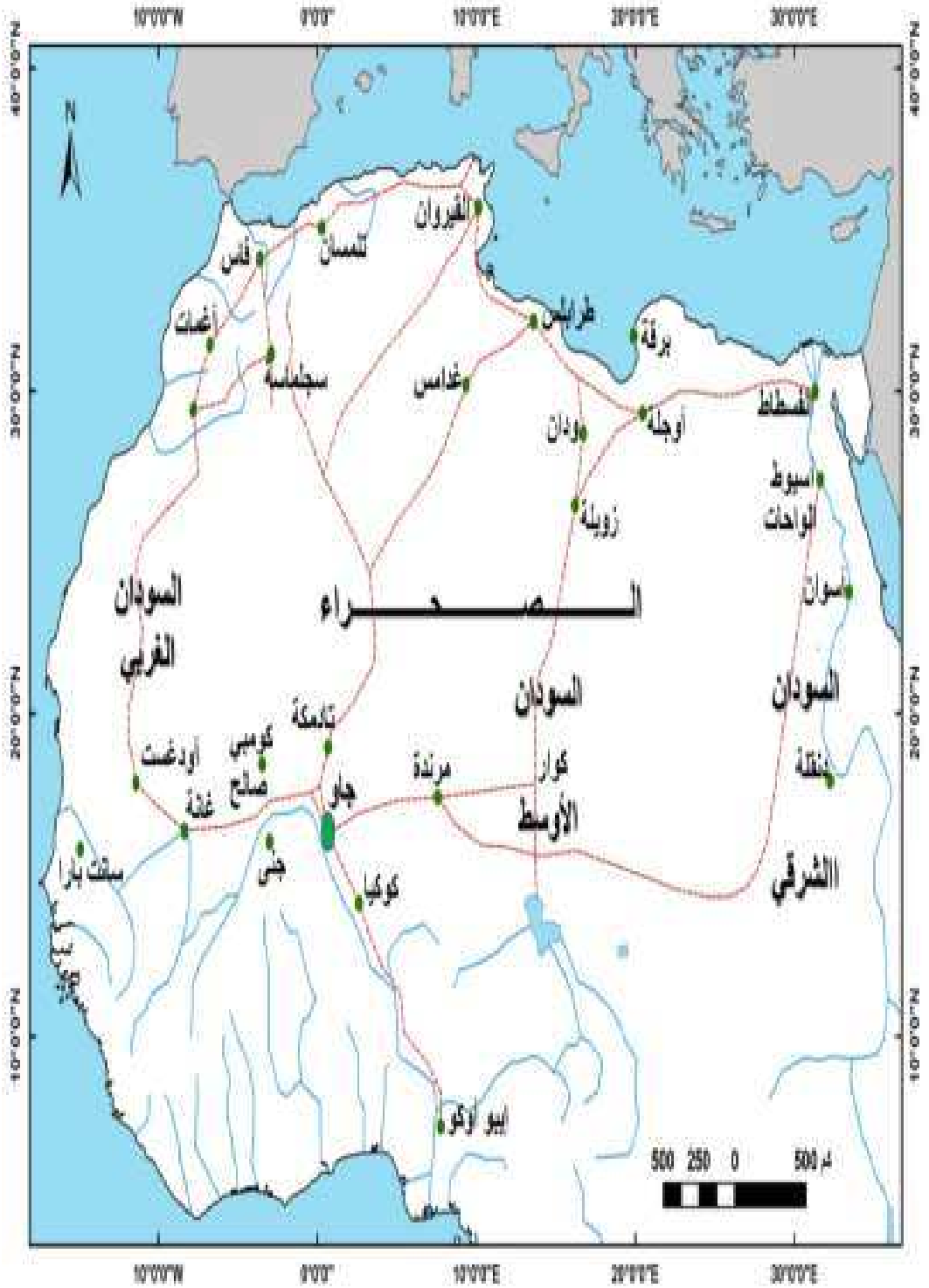
الملحق 01: شقف الفخار وعاج فرس النهر المكتشف بفي مدينة جاو[1]





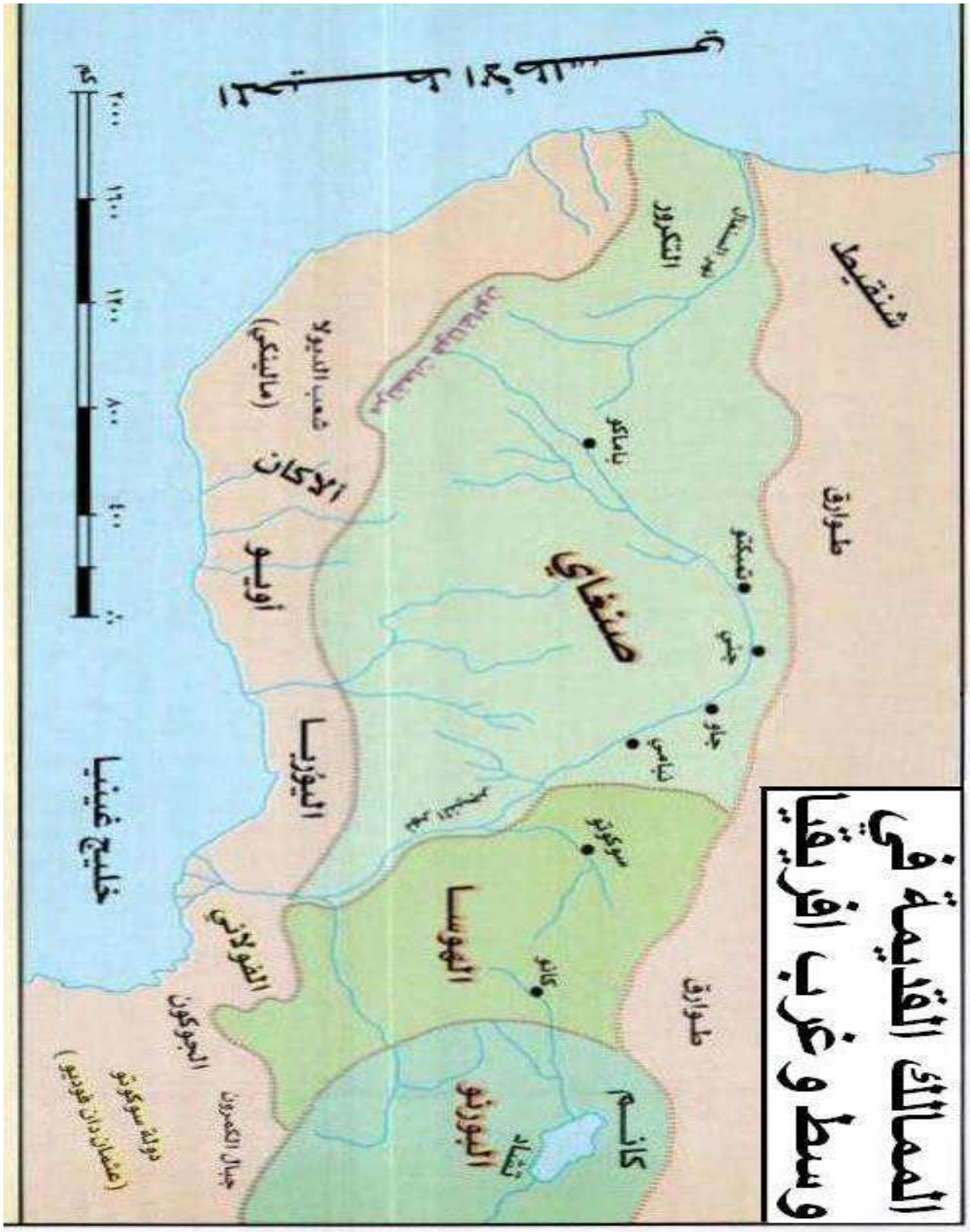
[1]– بطل شعبان محمد غرياني. المرجع السابق، ص ص 644-645.

الملحق 02: مدينة جاو وطرق التجارة عبر صحرائها[1]



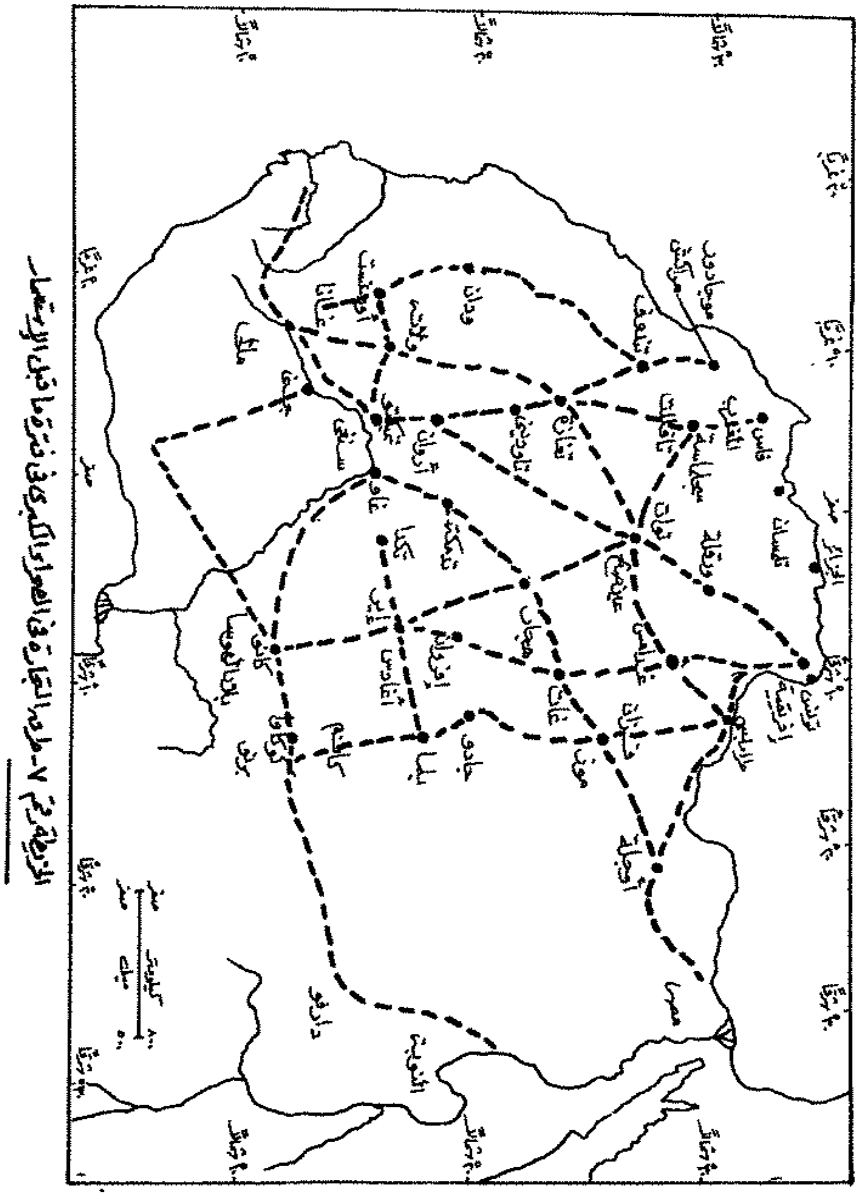
[1]– بطل شعبان محمد غرياني. المرجع السابق، ص642.

الملحق رقم 03: المماليك القديمة وسط وغرب افريقيا[1]



[1]– بشار أكرم جميل الملاح، أثر الحضارة الإسلامية على غرب أفريقيا، مدارات تاريخية، المجلد الثاني، العدد: الخامس، مارس 2020، ص 419.

الملحق رقم 04: طرق التجارة في الصحراء الكبرى في فترة ما قبل الاستعمار[1]



167

[1]– محمد عبد الغني سعودي، المرجع السابق، ص 167.

فائمة

المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

قائمة المصادر والمراجع:

I. قائمة المصادر:

محمد عبد الغني سعودي، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تر: أحمد قؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.

ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، الجزء الأول، تحقيقّ: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، مصطفى القصاص، دار أحياء العلوم، بيروت، ط01، 1987.

الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، الجزء الثاني، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1983.

مارمول كربخال، **إفريقيا**، الجزء الثالث، تر: عمر جحي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط، 1989.

II–قائمة المراجع باللغة العربية:

1–الكتب :

- حوتية محمد، **حواضر نهر النيجر تمبكتو – جيني – قاو**، مجلة الحقيقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 02، المجلد 09، 2010.

- عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، (ب.ط)، بنغازي، (ب، س).
- مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الإستعمار وآثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998.
- يوسف نصر، **تاريخ غرب إفريقيا**، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط1، .1982

2-المجلات:

- زينب التومي، **مراكز الحضارة في السودان الغربي**، مجلة آفاق فكرية، المجلد 06 العدد 01 ، 2020.
- محمد مولاي، الحواضر **العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين القرنين 1210هـ 1816م**، مجلة عصور، العدد 36، 2017.
- بشار أكرم جميل الملاح، **أثر الحضارة الإسلامية على غرب أفريقيا**، مدارات تاريخية، المجلد الثاني، العدد: الخامس، مارس 2020.
- عبد الله عيسى، أثر الإسلام على المجتمع الأفريقي خلال القرن 10هـ/16م ممكلكة سنغاي نموذجاً، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والثلاثون (01)، جيزران، 2015.

- عطلي محمد، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد السادس، أكتوبر، 2017.
- جنيدي عبد الحميد، الأوضاع الاقتصادية في تنبكت (تمبكتو) في القرن 10هـ / 16م، العدد الرابع، 2012.
- محمد حمد كنان ميغا، مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكتو وغاوو وجني في عهد الأساكي، العدد الثالث، ذو الحجة 1429هـ- ديسمبر 2008م.
- عميمور أيمن، أبو قاسم سعد الله، التفاعل التجاري والثقافي بين السودانيين والمغاربية خلال القرن 10هـ/16م، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الأول، ديسمبر، 2016.
- بطل شعبان محمد غرياني (2020). الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الأثارية دراسة للفترة من القرن 4-6هـ / 10-12 م. حولية كلية الأدب، جامعة بني سويف. مج 9، ج 2..
- حماد محمد الجهيمي، الحياة السياسية والنظم الإدارية والحربية بمملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 899-935هـ/1493-1528م، مجلة الدراسات العليا للبحوث والدراسات العلمية-العدد الثامن-يونيو، 2003.
- بشار أكرم جميل الملاح، أثر الحضارة العربية الإسلامية على غرب أفريقيا، مدار تاريخية، المجلد الثاني، العدد الخامس مارس، 2020.

- صحراوي عبد القادر، الكتاتيب القرآنية والثقافة الإسلامية في إفريقيا الغربية مدينتي تنبكتو وغاو أنموذجا، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد العاشر، العدد 1، 2019.

4-الأطروحات والرسائل الجامعية:

- بودواية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006.
- محمد ألفا جالو، **الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة 842-1000هـ/1424-1591م**، رسالة الماجستير، تخصص: الحضارة والنظم الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1993.

III-المراجع باللغة الأجنبية:

Abderhamen Ben Abdallah Ben Imran Ben Amir Rs-Sadi, Takhir Es-Soudan, Tradiction: O.Houdous, Librairais D'amerique Et D'oriont, Paris, 1981

فهرس المحتويات:

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	/
إهداء	/
قائمة المختصرات	/
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتاريخي لمدينة جاو خلال القرنين 06-09هـ	
تمهيد	07
أولاً: الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة جاو	08
ثانياً: مملكة سونغاي ودور جاو داخلها	12
ثالثاً: مدينة جاو ضمن طرق التجارة الصحراوية	14
الفصل الثاني: النشاط التجاري في جاو ما بين 6-9هـ	
تمهيد	23
أولاً: طبيعة السلع المتداولة في مدينة جاو	24
أ-صادرات جاو	24
ب- السلع الواردة إلى جاو	29
ثانياً: المؤسسات السياسية المنظمة للتجارة	34
الفصل الثالث: ازدهار جاو تجارياً وتأثيره على الحياة الحضارية	
تمهيد	37
أولاً: أثر التجارة في بلورة الفكر الحضاري لمدينة جاو	38
أ- الأثر الاقتصادي	38
ب- الأثر الثقافي والديني	39
ثانياً: ازدهار مملكة سنغاي وأفولها	42
أ- ازدهار مملكة سنغاي	42
ب- أفول وتراجع مملكة سنغاي	44

الخاتمة	47
الملاحق	50
قائمة المصادر والمراجع	55
فهرس المحتويات	60

الملخص:

جاو هي مدينة من أهم المدن والمراكز الحضارية ببلاد السودان الغربي في العصر الإسلامي، حيث أدت دوراً تجاريًا نشطًا بين شمال الصحراء وجنوبها، بين القرن السادس والتاسع للهجري، هذه الحقبة التاريخية شكلت فترة زمنية مزدهرة لهذه المدينة بفضل تجارتها، وما ميز مدينة جاو أيضاً نوع السلع المتداولة سواء كانت المستوردة أو مصدرة وهذا ما أعطها أهمية كبيرة مقارنة بالمدن التجارية الكبرى، ومن أهم تلك السلع المتداولة: كالملح، الزجاج، الرقيق، النحاس، العاج والذهب.

الكلمات المفتاحية: مدينة جاو-نهر النيجر-المسالك التجارية.

Abstract:

Gao was one of the most important cities and cultural centers in the Western Sudan region during the Islamic era. It played a vital commercial role between the northern and southern Sahara between the 6th and 9th centuries AH (12th and 13th centuries CE). This historical period was a prosperous time for the city, thanks to its trade. Gao was also distinguished by the variety of goods traded, both imported and exported, which gave it significant importance compared to other major trading cities. Among the most important traded goods were salt, glass, slaves, copper, ivory, and gold.

Keywords: Gao, Niger River, trade routes.